الرسالة

(١ كورنثوس ٦: ١٢–٢٠)

يا إخوةُ كلُّ شيءٍ مباحٌ لي ولكن ليسَ كلُّ شيءٍ يوافِق* كلُّ شيءٍ مُباحٌ لي ولكن لا يَتسلَّطُ عليَّ شيءٌ* إنَّ الأطعِمةَ للجوف والجوفَ للأطعِمَةِ وسَيُبيدُ اللهُ هذا وتِلك. أمَّا الجَسَدُ فليسَ للزنى بل للربِّ والربُّ للجَسَد* واللهُ قد أقامَ الربَّ وسيُقيمُنا نحنُ أيضًا بقُوَّتِه* أمَا تعلَمون أنَّ أجسادَكم هي أعضاءُ المسيح. أفآخذُ أعضاءَ المسيحِ وأجعَلُها أعضاءَ زانية. حاشى* أمَا تعلَمون أنَّ مَن اقتَرَن بزانيةٍ يَصيرُ معها جسدًا واحدًا. لأنَّهُ قد قيلَ يصيرانِ كِلاهُما جَسَدًا واحدًا* أمَّا الذي يَقتَرِنُ بالربِّ فيكونُ معهُ روحًا واحدًا* أُهرُبوا من الزِّنى. فإنَّ كُلَّ خطيئةٍ يفعَلُها الإنسانُ هي في خارجِ الجسد. أمَّا الزاني فإنَّهُ يُخطئُ إلى جَسدِهِ* أم ألستُم تَعلَمونَ أنَّ أجسادَكم هي هيكلُ الروحِ القدُسِ الذي فيكم الذي نِلتموهُ منَ الله وأنَّكم لستُم لأنفُسِكم* لأنَّكم قد اشتُريتم بثمنٍ فمجِّدوا

مثل الإبن الشاطر

التعاليم الإلهيّة هي ثمرة محبة الله للإنسان، أمَّا هدفها فهو قداسة الإنسان أي العيش الدائم في حضرة الله، في فرحه، في ملكوته. من هنا تحرص أمُّنا الكنيسة المقدَّسة على تربيتنا من خلال الدور الليتورجي السنوي لتنقلنا من مجدٍ إلى مجدٍ حتى نصل إلى ملء قامة المسيح.قبل الدخول في رحلة الصوم الأربعيني المقدَّس علّمتنا الكنيسة الأحد الماضي كيف يجب أن نصلّي (أحد الفريسي والعشّار). وفي هذا الأحد (أحد الإبن الشاطر) تعلّمنا عمق محبَّة الله لنا وانتظاره عودتنا تائبين، وكيف يجب أن نكون على مستوى محبَّته عبر محبَّتنا بعضنا لبعض.

العدد ٢٠٠٢/٩
الأحد ٣ آذار
أحد الإبن الشاطر
الشهداء أفطروبيوس وكلاونيكُس وباسيليكس
اللحن السادس
إنجيل السَحَر السادس

كلنا يقرأ مَثَل الإبن الشاطر بالنظر إلى ما تصرف به الإبن الأصغر، من خلال طلب حصته من أبيه، وسفره، وتبذيره المال بشكل مسيء، ومن ثم عودته بتوبةٍ عميقةٍ إلى منزله الأبوي، وأيضًا استقبال الأب المحب له،والذي انتظر عودة ابنه بألم. ولكن يجب ألاّ يغيب عن نظرنا الإبن الأكبر الذي تصرّف بغيرةٍ وحسدٍ تجاه عودة أخيه، بدل أن يفرح (لو١٥: ٢٨)، وبتصرفه هذا أحزن أباه أكثر من الأخ الأصغر.

الحسد والغيرة مصيبة تتبع الإنسان الشرير القلب فتصل به إلى الهلاك. أولاً حسد الحيَّة (الشيطان) الذي أوصل الإنسان إلى عدم الطاعة لله المحبّ فوجد الإنسان حينئذٍ الموت (راجع تك ٣: ١–٧). وثانيًا حسد الأخ لأخيه كما في قصة قايين الذي قتل أخاه هابيل حسدًا بعد أن قَبِلَ الله ذبيحة هابيل ورفض ذبيحته (راجع تك٤: ١–١٦). السؤال المطروح هو لماذا لم يقبل الله ذبيحة قايين؟ الجواب البسيط هو أن الله لا ينظر إلى نوعيَّة الذبائح إنما إلى القلوب التي تقدِّم الذبائح. ألم يعلِّمنا الله من خلال توبة نبيِّه داود في المزمور الخمسين أنَّ الذبيحة لله هي روحٌ منسحق؟ هذا ما يفتش عنه الله. لهذا قال أيضًا لنبيِّه داود يا بُنيَّ أعطني قلبك.

ما هي العلاقة بين ما سبق قوله والأخ الأكبر في مَثَل الإبن الشاطر؟ الجواب أيضًا بسيط: إذا قرأنا المَثَل جيدًا (لو١٥: ١١–٣٢) نجد أنَّ ما قدَّمه الإبن الأكبر لتبرير غضبه (الآية ٢٨) أمام أبيه هو تعداد ما كان يقوم به من خدمات وأتعاب (الآية ٢٩) غير آبهٍ بأخٍ له «كان ميتًا فعاش،وكان ضالاً

فوُجد» (٣٢:١٥). همُّ الأخ الأكبر أن يفرح بأعمال يديه مع أصدقائه،لا أن يفرح بما هو أهمُّ أي قبول أخيه واحتضانه، والعيش معًا في كنف أبٍ محبٍّ يتجاوز ضعفات أبنائه لأنَّ همَّه هو خلاصهم رغم خطاياهم. لا بل أكثر من ذلك، لم يستعمل الأخ الأكبر تعبير «أخي» عندما كان يتحدَّث عن أخيه الأصغر، بل صار اسمه «ابنك هذا» (الآية ٣٠).

قتل قايين أخاه بسبب الحسد، والقتل ليس القتل المادي فقط كما جرى قديمًا، إنما هو القتل الروحي أيضًا كأن نتنكر لأخينا الإنسان، أو نهينه بكلمةٍ. هذا قتل للعلاقة والمحبَّة التي تربطنا بالآخر. راجع ما قاله الله في إنجيل متى (٢١:٥-٢٤). ألم يتنكر قايين لأخيه هابيل عندما سأله الله عنه فأجاب: «لا أعلم، أحارسٌ أنا لأخي» (تك٩:٤). هكذا أيضًا تصرَّف الأخ الأكبر تجاه أخيه الأصغر.

كلنا يتباهى بأعمال يديه. كلنا يبحث عن دغدغة مديح تسرُّنا لأننا نرى أنفسنا عظماء بأعمالنا؛ نُميت الآخر لنحيا! وإذا رأينا أحدًا يطاله المديح عن حق نبني قصورًا من الأكاذيب حوله لنحوِّل الأنظار نحونا! نسأل عن العدالة، ونتَّهم الله بعدم عدله، ناسين أنَّنا نحن من يجب أن يُسأل عن العدل! يعلِّمنا الكتاب المقدَّس أنَّه يجب أن نتنافس، ولكن في الأمور الفضلى، أي في حياة القداسة التي تعبق برائحة طيب المسيح، وليس برائحة طيب أعمالنا لأنها نتنة. ألم يعلِّمنا الكتاب الإلهي أنَّه مهما عملنا فلنقل إنَّنا عبيد بطَّالون؟ هذا فقط بهدف عدم الإفتخار. المسيحيُّ هو الذي يفرح بأخيه فرحه بنفسه. المسيحيُّ هو كالشمعة التي يجب أن تحترق بالمحبَّة لتُنير حولها. الملائكة تفرح برجوع خاطئ، فكم بالأحرى الآب السماوي؟ أنُحارب الله لأنَّه يقبل الكل، منتظرًا عودتهم؟ إذا كان الله أبانا كما نردد في الصلاة الربَّانية، فكل إنسان هو أخٌ لنا، وبغير هذا لن ندخل الملكوت، ولن نكون من المخلَّصين. الإبن الأصغر ابن شاطر لأنه شطر ميراث أبيه وبدده على الزواني، والإبن الأكبر أيضًا شاطر لأنه أراد أن يشطر محبَّة أبيه ويبعده عن ابنه الأصغر.

هذا الأحد يهيِّئنا للصوم الأربعينيِّ المبارك من أجل اقتناء فضيلة المحبَّة بقوَّةٍ أكبر، واحتمال وجود الآخر وقبوله بجانبنا لأنَّه لا يمكننا أن نحبَّ الله الذي لا نراه إن لم نتعلَّم محبَّة أخينا الإنسان الذي نراه. أتى المسيح ليجمع المتفرِّقات إلى اتحاد واحد، فلا نكوننَّ من الذي يُفسدون عمل الله.

الصيام

ترى بعض المجتمعات المدنيَّة الحديثة في الصيام والامتناع عن الأكل وسيلة للإحتجاج، للضغط على السلطات لكسب منافع تهم الشعب. وما صوم المهاتما غاندي في حرب الهند ضد الحكم البريطاني إلا تعبير عن هذه الرؤية. وبعض الأفراد يصومون لغايات جمالية، بقصد فقدان الوزن. لكن الصوم في الكتاب المقدَّس يحمل معنًى أخر. ليس الصوم وسيلة لتأكيد رغباتنا وإعلانها، إنما هو وسيلة يشرِّع فيها الإنسان نفسه لعمل الله. إنه وسيلة تعبير عن حزن كبير على الخطيئة، وعن اتكال كلي على الله في كل أنواع المعونة. الصوم هو الامتناع عن الطعام لأسباب روحيَّة تتضمن أولاً الانفتاح على الألوهة والاتضاع. ويتقاطع الصوم مع الصلاة والحزن والتوبة وطلب الإرشاد والتقوى.

هذا لا يعني أنه لم يُسأ استعمال الصوم، لذا قد يحمل في طياته صورة المراءاة والاستعراض (أش الله في أجسادِكم وفي أرواحِكم التي هي لله.

الإنجيل

(لوقا ١٥: ١١-٣٢)

قال الربُّ هذا المَثَل: إنسانٌ كان لهُ إبنان* فقالَ أصغرُهما لأبيهِ يا أبتِ أعطِني النصيبَ الذي يخُصُّني من المال. فَقَسَمَ بينهما معيشَتَهُ* وبعد أيامٍ غيرِ كثيرةٍ جَمَعَ الإبنُ الأصغرُ كلَّ شيءٍ لهُ وسافرَ إلى بلدٍ بعيدٍ وبذَّرَ مالهُ هناك عائشًا في الخلاعة* فلمَّا أنْفَقَ كلَّ شيءٍ لهُ حدثَتْ في ذلكَ البلدِ مجاعةٌ شديدةٌ فأخذَ في العَوَزِ* فذهبَ وانضوى إلى واحدٍ من أهلِ ذلك البلد فأرسلَهُ إلى حقولهِ يرعى خنازير* وكان يشتهي أن يملأَ بطنهُ من الخرنوبِ الذي كانتِ الخنازيرُ تأكلُهُ فلم يُعطِهِ أحدٌ* فرجعَ إلى نفسهِ وقالَ كم لأبي من أُجَراءَ يفْضُلُ عنهمُ الخبزُ وأنا أهلِكُ جوعًا* أقوم وأمضي إلى أبي وأقولُ لهُ يا أبتِ قد أخطأتُ إلى السماءِ وأمامك. ولستُ مستحقًّا بعدُ أن أُدعَى لك ابنًا فاجعَلْني كأحدِ أُجَرائِك* فقامَ وجاءَ إلى أبيهِ.وفيما هو بعدُ غيرُ بعيدٍ رآهُ أبوهُ فتحنَّنَ عليهِ وأسرع وألقى بنفسهِ على عنقهِ وقبَّلَهُ* فقال لهُ الإبنُ يا أبتِ قد أخطأتُ إلى السماءِ وأمامك ولست مستحِقًّا بعدُ أن أُدعى لك

ابنًا* فقال الأبُ لعبيدِهِ هاتوا الحلَّة الأولى وألبِسوهُ واجعلوا خاتمًا في يدهِ وحِذاءً في رجليهِ* وأتوا بالعِجْلِ المسمَّنِ واذبحوهُ فنأكُلَ ونفرَحَ* لأنَّ ابنيَ هذا كان ميتًا فعاش وكان ضالاً فوُجد. فطفِقوا يفرحون* وكان ابنُهُ الأكبرُ في الحقل. فلمَّا أتى وقرُبَ من البيتِ سمعَ أصواتَ الغِناءِ والرقص* فدعا أحد الغِلمانِ وسأَلَهُ ما هذا* فقال لهُ قد قدِمَ أخوك فذبحَ أبوك العجلَ المسمَّنَ لأنَّهُ لقيَهُ سالمًا* فغضبَ ولم يُرِدْ أن يَدْخلَ. فخرجَ أبوهُ وطفِقَ يتوسَّلُ إليهِ* وقالَ لأبيهِ كم لي مِنَ السنينِ أخْدِمُكَ ولم أَتَعَدَّ لك وصيَّةً قطُّ وأنت لم تُعطِني قطُّ جَدْيًا لأفرحَ معَ أصدقائي* ولمَّا جاءَ ابنُكَ هذا الذي أكلَ معيشَتَكَ معَ الزواني ذبحتَ لهُ العجلَ المسمَّن* فقال لهُ يا ابني أنت معي في كلِّ حين وكلُّ ما هو لي فهو لك* ولكن كان ينبغي أن نفرَحَ ونُسَرَّ لأنَّ أخاك هذا كان ميّتًا فعاشَ وكان ضالاً فوُجد.

تأمل

إن خطئتَ فَشَرٌ، وإن أنكرتَ ما فعلت فشرٌ أكبر، لأن الإنكار سلاح الشيطان، وهذا ما حدث مع الإنسان الأول. فحينما كان يتوجب على آدم أن يعترف بخطيئته، ألقى الذنب على

٥٨ ومتى ٦.)

صوم الرب يسوع لمدة أربعين يومًا في البرية تهيئة لانطلاقه إلى البشارة (متى ٤:٢) هو أفضل مَثَل لنا. هكذا أيضًا صام موسى أربعين يومًا في برية سيناء قبل أن يتسلَّم الوصايا والشرائع (مز٣٤:٢٨، تث٩: ٩)، ويهوشافاط أعلن صومًا في كل يهوذا طلبًا لمعونة الرب عندما أتى بني مؤاب والعمّونيون ليحاربوه (٢ أخ ٢٠:٣). وفيما كانت كنيسة إنطاكية تصوم وتصلّي (أع ١٣: ٣–٤) أمرها الروح القدس أن ترسل بولس وبرنابا ليبشِّرا. إذًا، غالبًا ما يترافق الصوم والصلاة مع سعي الناس وتهيئتهم للتواصل مع الألوهة. عبر الصوم يكرسون أنفسهم للشركة مع الله.

+ **يحمل الصوم صورة الحزن والأسى**: عندما قتل شاول وناثان في أرض المعركة، دفن سكان جلعاد عظامهما وصاموا سبعة أيام (١صمو ٣١:١٣). داود النبي ناح وصام عند سماعه بموتهما (٢صمو ١:١٢و٣: ٣٦). والنبي نحميا صام عندما سمع بسقوط أورشليم. يترافق الصوم مع حزن صادق ونوح على موت الأحبة، أو عندما نشعر بتهديد الموت لنا. إنه تعبير عن الأسى العميق والغضب.

+ **يحمل الصوم صورة التوبة**: في العهد القديم كان الشعب يصوم دائمًا تعبيرًا عن توبته. وقد جاء في الشريعة أنه على الشعب أن يصوم «يوم الغفران» تعبيرًا عن التوبة (لاو ١٦: ٢٩ و٣١). في زمن نحميا لبس العبرانيون المسوح ومسحوا جباههم بالرماد وصاموا معترفين بخطاياهم وخطايا آبائهم (نحميا ٩: ١–٣). هكذا كان الصوم يمارس خلال فترات التوبة عن الخطايا كعلامة للتذلل والتواضع.

+ **الصوم هو وسيلة تقوى**: يقول كاتب المزامير «أما أنا ففي مرضهم كان لباسي مِسْحًا، أَذْللتُ بالصومِ نفسي، وصلاتي إلى حِضني ترجع» (مز٣٥:١٣) و«أبكيتُ بصومٍ نفسي فصارَ ذلك عارًا عليَّ» (مز٦٩: ١٠). وفي العهد الجديد نقرأ عن حنة النبيّة الأرملة منذ أربع وثمانين سنة أنها كانت «لا تفارقُ الهيكلَ عابدةً بأصوامٍ وطلباتٍ ليلاً ونهارًا» (لو٢: ٣٧). تلاميذ يوحنا المعمدان كانوا يصومون أيضًا بتواتر، والفريسيون كانوا يصومون مرتين في الأسبوع (لو١٨:١٢). وهكذا فإن الصوم كان لأجل التقوى الشخصية والنظام الروحي.

رغم ان صورة التقوى ملازمة للصوم، إلا ان الخطر الأساسي يكمن في دخول المراءاة إلى فعل الصوم. النبي أشعياء (٥٨:٣–٦) يبيِّن للشعب الإسرائيلي ان تذليل النفس بالصوم لا يتماشى مع تصرفهم تجاه الجائعين والمساكين والعراة، لأنهم كانوا لا يحسنون إليهم. يفعلون الشر أمام عيني الرب أثناء صيامهم. يصومون ليظهروا للناس صائمين ويحرزوا احترامهم، ولا يقومون به لمجد الله. لذلك فإن الرب لن يقبل صيامهم: «...حين يصومون لا أسمع صراخهم وحين يُصعدون محرقةً وتقدمةً لا أقبلهم...» (ارميا١٤:١٢). الصورة نفسها تتكرَّر في العهد الجديد حيث الفريسيون يعبسون وجوههم لكي يُظهروا صيامهم للناس، وقد فضح الرب يسوع رياءهم ونصحهم بأن يدهنوا وجوههم بالزيت لكي يرى الله وحده تقواهم وفضيلتهم (متى٦:١٦–١٧). الصوم بحد ذاته غير مُدان، إنما يجب أن يمارَس لمجد الله وليس كوسيلة لتمجيد الذات.

نحن منطلقون الآن نحو بداية فترة الصوم الأربعيني المقدَّسة التي تقودنا في رحلة مفرحة نحو الفصح،

نصوم خلالها كما صام موسى قديمًا لنتهيأ لا لتقبّل الشريعة فحسب بل واضع الشريعة أولاً في قلوبنا ولتحل نعمة روحه القدوس فينا. نصوم حزنًا وندمًا على خطايانا التي تحمل في طياتها الموت الروحي. نصوم تائبين ومتذللين وطالبين رحمة الله ليغفر خطايانا. نصوم رافعين الصلاة تعبيرًا عن تقوى عميقة ومتطلّعين فقط نحو الخلاص الحاصل على الصليب.

في التوبة

من المستحيل أن تعيش بسلام مع الله بدون توبة متواصلة. ولقد وضع الرسول يوحنا الشرط التالي للسلام مع الله: «إن لم تلمنا قلوبنا» (١يو٣: ٢١). إن لم يكن لديك شيء في ضميرك يمكنك أن تمتلك الجرأة للدنو من الله بشعور من السلام، لكن إن كان لديك شيء ما، فالسلام سيضطرب عندئذ.أن يكون لدينا شيء ما في ضميرنا،هذا بسبب إدراك الخطيئة. لكن حسب نفس الرسول، نحن لسنا بدون خطيئة أبدًا، وهو يشعر بهذا بقوة لدرجة يدعو معها كل واحد يظن نفسه غير ذلك كاذبًا. لا توجد أبدًا لحظة واحدة لا نملك فيها شيئًا في ضميرنا، سواء بصورة إرادية أو غير إرادية. ينتج من هذا أنه من الضروري أن نطهّر ضميرنا لكي نكون بسلام مع الله. يتطهّر الضمير بالتوبة،وبالتالي هي توبة متواصلة، إذ إن التوبة تطهّر كل إثم من النفس وتجعلها نقيّة.

ثيوفانس الحبيس

القطب الجنوبي

يقوم حاليًا عدد من المؤمنين في إحدى مناطق سيبيريا النائية (Altai) في روسيا باختيار أفضل أنواع أشجار الأرز التي تنمو في منطقتهم والمستعملة في بناء الكنائس من أجل شحنها إلى القطب الجنوبي حيث سيتم بناء أول كنيسة أرثوذكسية. وقد أعلن الأب جورجي، ٢٠ عامًا، المسؤول عن بناء الكنيسة، أنه قد تمَّ وضع حجر الأساس في المكان الذي ستُشاد عليه الكنيسة كما تم نضحه بالماء المقدَّس.

البطريرك المسكوني

دعا الرئيس جورج بوش قداسة البطريرك المسكوني برثلماوس الأول إلى لقاء معه في البيت الأبيض في ٥ آذار ٢٠٠٢. وهذه الدعوة مميزة بحسب رئيس أساقفة الكنيسة اليونانية في أميركا، المطران ديمتريوس، كون قداسته لعب دورًا قياديًا منذ ١١ أيلول ٢٠٠١، في محاولة تخفيف حدة الخلافات والصراعات باسم الدين. فقد ترأس قداسته في كانون الأول الماضي لقاء في بروكسل حول «سلام الله في العالم» حضره أكثر من ثمانين من القادة الروحيين المسيحيين والمسلمين واليهود في العالم نُظم برعاية رئيس المفوضية الأوروبية رومانو برودي وبحضور غبطة أبينا البطريرك إغناطيوس الرابع.وفي كانون الثاني الماضي زار قداسته طهران حيث احتفل بالذبيحة الإلهيّة وحاضر في وزارة الشؤون الخارجية حول «مساهمة الدين في إقامة السلام في العالم المعاصر».

زيارة قداسته للبيت الأبيض تأتي ضمن زيارة يقوم بها للولايات المتحدة بين ٤ و١٠ آذار للمشاركة في احتفالات الذكرى الثمانين لإنشاء الأبرشية اليونانية هناك، والذكرى الخامسة والستين لإنشاء معهد الصليب المقدَّس اللاهوتي. خلال الزيارة سوف يمنح قداسته الرئيس الأميركي الأسبق جورج بوش الأب وزوجته بربارة جائزة أثيناغوراس لحقوق الإنسان.

امرأته وهذه ألقته على الشيطان مع انه كان من الواجب على آدم أن يقول: «قد خطئتُ وخرقتُ الناموس» لكنه مع حواء لم يعترفا بالذنب بل اختلقا العذر لنفسيهما لأن الشيطان يعلم بأن الإعتراف بالذنب هو الخلاص منه، لذلك يحوّل الإنسان إلى التصلب برأيه الشائن. أما أنت أيها الحبيب فحينما تخطئ قل انني أخطأت،فلا شيء أعدل من هذا الإعتذار. بهذه الصورة تستعطف الله وتمنع نفسك من الإتيان بمثل هذه الخطيئة. أما إن أخذت بتقديم الحجج الفارغة لتعتق نفسك من الخطيئة فإنك تشجعها بلا ريب على اقتراف الذنب نفسه مرة ثانية وتجلب على نفسك غضب الله الشديد.

لا تقل أنا هالك فماذا أفعل. ولا تقل أنا مريض فأي شيء أعمل؟ عندك طبيب أرفع من الأمراض. عندك طبيب يغلب قوة المرض، ويشفي بإيعاز واحد. طبيب يقدر ويريد أن يشفيك، فإذا كان قد أوجدك من العدم فإنه يصلحك ما دمت موجودًا ومتضررًا. ألم تسمع كيف انه تعالى أخذ ترابًا وصنع منه إنسانًا؟

القديس

يوحنا الذهبي الفم